بسم الله الرحمن الرحيم

المشاركة في الملتقى الوطني عنوانه :

البلاغة الجديدة (المصطلح والمفهوم) بين التراث العربي والفكر اللغوي الحديث.

بقسم اللغة العربية جامعة محمد خيضر بسكرة

تاريخها: **09 و10 ماي 2022**

محور المشاركة الأول:

بين البلاغة القديمة والبلاغة الجديدة

عنوان المداخلة :

المكون الحجاجي للكناية في البلاغة العربية
The argumentative component of the metonymy in Arabic rhetoric

د.اليزيد بلعمش.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة/الجزائر

el-yazid@hotmail.com

البريد المهني: y.belameche@univ-emir.dz

ملخص:

فكرة البحث: فصل البلاغيين المباحث البلاغية فكانت على ثلاثة أقسام، قسم منها كان يعنى بربط الخصائص التركيبية بسياقها وتنوعات المختلفة لهما؛ وهذا عرف بعلم المعاني، وقسم منها أعتنى بصور الترتيب المعاني أو صور ترتيب الألفاظ في التركيب؛ وعرف هذا النوع بعلم البديع؛ وقسم منها: سمي بعلم البيان: وهذا اعتنى فيه البلاغيون العرب بجمع الصور المختلفة التي يورد بها المعنى الواحد مع تفاوت بين هذه الصور في الدرجة الخطابية، وقد نص البلاغيون في هذا السياق على أربعة صور؛كان منها الكناية: وقد عرفت عندهم – كما يقول عبد القاهر الجرجاني بأنها:

"والمراد بالكناية ههنا أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ ورِدْفُه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلاً عليه، مثال ذلك قولُهم: "هو طَويلُ النَّجاد"، يريدونَ طويلَ القامة "وكثيرُ رمادِ القِدْر" يَعْنون كثيرَ القِرى وفي المرأة: "نَؤومُ الضُّحى"، والمرادُ أنها مُتْرفةٌ مخَدْومة، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها، فقد أرادوا في هذا كُله، كما تَرى، معنًى، ثمَّ لم يَذْكُروه بلفظِه الخاصِّ به، ولكنّهُم تَوصَّلوا إليه بِذِكْر معنًى آخر مِنْ شأنِه أن يَرْدُفَه في الوجود، وأنْ

يكونَ إذا كانَ. أفلا تَرى أنَّ القامةَ إذا طالتْ طالَ النجادُ؟ وإذا كثُرَ القِرى كثُرَ رَمادُ القِدْر؟ وإذا كانتِ المرأةُ مُتْرفةً لها مَنْ يَكفيها أَمْرَها، رَدِف ذلك أَنْ تنامَ إلى الضُّحى"[1].

هذا التعريف نقلناه على طوله لنبين فيه أن له مسائل أخرى مرتبطة به، مما تعلق بمفهوم البلاغة الجديدة، ألا وهي مسألة الحجاج، ولهذا قيل فيها: "الدلالة على الأمر بدليله"، وهذا يكشف لنا عن مكون حجاجي لهذه الصورة البلاغية أو لهذا الطريق من طرق الكلام .

أهمية البحث وإشكاليّته:. تأتي أذن: أهمية هذا البحث تأتي من كونه يحاول أن يلفت إلى جانب آخر من جوانب الأداء في الكناية: ألا وهو الجانب الحجاجي أو الإقناعي، مع جانب الجمالي الذي ركز عليه البلاغيون كثيرا، وأتت إشارتهم إلى الجانب الأول إشارة ثانوية، والحقيقة أن هذا جانب بالغ الأهمية في التبليغ وفي الاستعمال، وهذا ما نود القيام به في هذه الأوراق مجيبين على الأسئلة الآتية: فيما تكمن أهمية المكون الحجاجي في الكناية؟ ما طبيعة الاحتجاج المقدم في الكناية؟ ما الصور التي يكون بها الاحتجاج في الكناية؟

Summary: The importance of this research comes from the fact that it tries to draw attention to another aspect of performance in metonymy: namely the argumentative or persuasive aspect، with the aesthetic aspect that the rhetoricians focused on a lot، and their reference to the first aspect came as a secondary reference، and the fact that this is a very important aspect in reporting and in use، and this is what we would like to do in these papers، answering the following questions: What is the importance of the argumentative component in the metonymy? What is the nature of the protest presented in metonymy? What images is the protest in metonymy؟

بسم الله الرحمن الرحيم

عناصر الموضوع:

1. مقدمة: التمهيد للموضوع وبيان أهميته وإشكاليته وعناصره ومنهجه.
2. الكناية في البلاغة العربية .
3. طبيعة الحجاج في الكناية.
4. صور الحجاج في الكناية.
5. خاتمة: (أهم النتائج المتوصل إليها)

المداخلة:

1- **مقدمة**: تعد البلاغة العربية من أبرز العلوم اللغوية العربية، بل هي واسطة العقد فيها، لأن باقي العلوم اللغوية الأخرى إنما هي في أصل خادمة للعلم البلاغة، فعلم اللغة يوفر للبليغ الاختيارات الإفرادية المختلفة، وعلم الصرف يمده بأنواع الصيغ، وعلم النحو يتيح له أنواع التراكيب المتنوعة، ليأتي البلاغي بعدها فينتقي من هذا كله ما يخدم غرضه وقصده، فكانت

[1] دلائل الإعجاز، تح: محمود شاكر، دار الخانجي-القاهرة (ص66)

البلاغة العربية بهذا هي الروح الذي يسري ماء حياته في باقي العلوم اللغوية الأخرى، وما زالت عطاءات هذا العلم تبرز كلما حركت قواعده ومعارفه.

إن هذه المركزية التي تمتعت بها البلاغة العربية بين العلوم اللغوية لم يجعلها مقتصرة على هذا فقط، بل جعلها تحتل مكانة بارزة بين العلوم الأخرى المحايثة للعلوم اللغوية العربية، وهي العلوم الشرعية وباقي العلوم العربية الأخرى، مما جعلها تحظى بصلات بتلك العلوم سواء منها النقلية أو العقلية، كونها تتعامل مع أهم مكون من مكونات الرسالة اللغوية؛ إنه المعنى،وكما هو معلوم أن هذا المكون هو الجزء المقصود من الكلام في العلوم اللغوية والعلوم الشرعية، لكن شاع في الأذهان أن البلاغة العربية إنما تعنى بالجانب الجمالي والإمتاعي، ولهذا شاع البحث عن وجوه الحسن ووجوه القبح بالقواعد البلاغية العربية، وبل وامتد الأمر إلى أن جعل بعضهم الفكر العربي كله فكرا قائما على البيانية والجمالية، بعيدا نوعا ما عن الحجة العقلية والبرهان الحجاجي[1]؟!!.

وفي العصر الحديث ظهرت علوم لسانية كثيرة حاولت أن تعيد صياغة العلوم اللغوية القديمة صياغة تتلاءم مع بعض الأغراض البحثية الأخرى؛ لسانية وحجاجية وتداولية وسيميائية، فظهر عند الغرب اتجاه بلاغي يدعو إلى أحياء البلاغة اليونانية القديمة القائمة على الحجة والبرهان، فظهر إثر ذلك اتجاه بلاغي يتجاوز دراسة الإطار اللساني إلى دراسة الأنساق الحجاجية في الخطاب، على اعتبار أن المتكلم إنما يتكلم ليقنع غيره بالكلام. وقد بدأ هذا الاتجاه من منتصف القرن العشرين مع (شايم بيرلمان) و(لوسي تيتيكا)، على اعتبار أن مهمة البلاغة "وصف الخطاب وصفا علميا يبين مضمراته ويستخلص بنياته ووظائفه التداولية والحجاجية"، فصار هذا النوع من الاهتمام البلاغي يشكل رافدا من الروافد "البلاغة الجديدة"

وإذا كان الأمر على هذه الصورة فإننا نتساءل عن مدى صدق عناية البلاغة العربية بالجمالية وخلوها من المنطق الحجاجي؟! هل خلت الصور البلاغية التي حددتها البلاغة العربية من الطابع الحجاجي والإقناعي، أم أن الأمر على العكس من ذلك تماما، فنجد أن البلاغة العربية إنما ركزت على ما هو جمالي في الأساليب الإقناعية، لتستخرج مما الحجة القوية موطن الجمال فيها؟

لمعالجة هذه القضية فإننا حاولنا التركيز على صورة من الصور البلاغية، التي كان لها حضور قوي في الدرس البلاغي؛ ألا وهي الكناية، ثم عرضنا لشرح مباحثها وتفاصيلها في الدرس البلاغي العربي، ثم النظر إليها مرة ثانية لكن من منظور نظرية الحجاج في البلاغة الجديدة، للكشف عن المكون الحجاجي الكامن في هذه الصورة البيانية، ومنه فتح الباب نحو إمكانية قراءة البلاغة العربية قراءة جديدة في ضوء البلاغة الجديدة بل فضوء كل المناهج الجديدة، لتوسيع من دائرة الاهتمام في البلاغة العربية، وفتح آفاقها وأبوابها لاستيعاب أكبر لمكونات النصوص، دون إهمال أي جانب فيها. وستناول الموضوع في العناصر الآتية :

([1]) هذه الفكرة جاء بها محمد عابد الجابري في كتابيه اللذين بدأ بهما نقد العقل العربي، وهما: **تكوين العقل العربي وبنية العقل العربي**، خاصة الثاني منهما، لأن الأول بمثابة مقدمة للكتاب الثاني الذي جاءت فيه شرح بيانية العقل العربي.

- الكناية في البلاغة العربية .
- طبيعة الحجاج في الكناية.
- صور الحجاج في الكناية.
- خاتمة: (أهم النتائج المتوصل إليها).

2- **الكناية في البلاغة العربية**: ينبغي أن نعلم أولا: أن الكناية في التراث اللغوي العربي لم تستقر على مفهوم اصطلاحي قار متميز خاص بها إلا مع عبد القاهر الجرجاني (471هـ) [1]، أما قبل ذلك فقد كانت تتراوح بين:

أ- الدلالة اللغوية: وهي في العموم يدور حول ما أشار إليه ابن فارس بقوله: "الكاف والنون والحرف المعتل يدل على تورية عن اسم بغيره. يقال: كنيت عن كذا. إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه. وكنوت أيضا"[2]. وشرح الكناية هنا بالتورية أيضا لا يقصد منها المعنى الاصطلاحي للتورية، إنما يريد بها المعنى اللغوي أيضا[3]، وهو ما أشار إليه بعده بقوله: "يقال: كنيت عن كذا. إذا تكلمت بغيره مما يستدل به عليه". وقد تكررت هذه العبارة عند غير واحد من أصحاب المعاجم[4]. إلا صاحب الصحاح فإنه قال عبارة أوضح من هذا المعنى حيث يقول: "الكناية: أن تتكلم بشئ وتريد به غيره. وقد كَنَيْتُ بكذا عن كذا وكَنَوْتُ"[5].

مما يمكن أن يستفاد من هذه المفاهيم اللغوية أن: الكناية هي عدول عن التعبير بلفظ إلى لفظ آخر دال عليه[6]، ويبقى سبب هذا العدول مجهولا على مستوى التعريف اللغوي.

هذا المعنى اللغوي هو الذي ساد على ألسنة بعض كبار اللغويين ردحا من الزمن[7]: من أمثال سيبويه، وأبي عبيدة، والجاحظ، وابن قتيبة، والمبرد ... فكانت الكناية تطلق عندهم على :

([1]) ينظر في هذا: محمود شاكر القطان، **الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية**، دار الكتب-مصر، 1993م. عدة قادة، **تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير)**، إشراف: حبار مختار، كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة وهران) السنة الجامعية: 2008-2009.

([2]) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: 1399هـ - 1979م، (ج5، ص139).

([3]) ينظر في هذا: محمود شاكر القطان، **الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية**، (ص9).

([4]) ينظر في هذا: الخليل بن أحمد الفراهيدي، **معجم العين**، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، دط ، دت (ج5، ص411)، الرازي (المتوفى: 666هـ)، **مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م (ص247). ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، لسان العرب، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414 هـ (ج15، ص233).... وغيرها من المعاجم الأخرى واقتصرت على أقدمها، وعلى ما كان منها أقرب للحديث ، وعلى ما جمع أماتها.

([5]) الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1987 م (ج6، ص2477).

([6]) ينظر: محمد جابر فياض، **الكناية ويليه نظم النثر أثر الحديث النبوي فيه**، دار المنارة- جدة، السعودية، ط1، 1989 (ص10).

([7]) ينظر: محمود شاكر القطان، **الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية**، (من ص:19 إلى ص:50) . عدة قادة، **تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير)**، إشراف: حبار مختار، كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة وهران) السنة الجامعية: 2008-2009 (من ص3...ص9) ومن (ص35 ...ص39).

الضمائر، وعلى ما لا يمكن التصريح فيه كالرسائل المراد ستر مرادها، .... فبدأ بذلك خيوط فائدة هذا الاستعمال اللغوي يبرز وتظهر، وهي هنا وصف الحال على ما هي عليه أو الهروب من التصريح لغايات متعددة يرومها المتكلم.

ب- امتزاج مفهوم الكناية بمفاهيم بلاغية أخرى: وفي هذه المرحلة التي يمكن أن نقول عنها بأنها تبدأ من القرن 3هـ، وبدأت معها معالم المصطلح تسير نحو المنحى التخصصي، لكننا نجد ذلك يتم تحت امتزاج هذا المصطلح بمصطلحات أخرى[1]؛ كالتعريض عند ابن المعتز ، والإرداف عند قدامة ابن جعفر وأبي هلال العسكري، والمماثلة عند أبي هلال أيضا، والتلويح والتعمية والتورية والتتبيع عند ابن رشيق، وكذا عند ابن سنان فقد جعلها قسما مستقلا مرة وجعلها تحت الإرداف والتتبيع.

إنّ ما يميز هذه المرحلة -من خلال تتبعي لعرضها عند الباحثين- أنها كانت مرحلة تقوم على تتبع الشواهد وتحليلها،للكشف عن بنية الكناية، مما جعلهم يمزجون بين بعض الأنواع البلاغية مع الكناية، أي أن بنية وهيكل الصورة الكنائية ما زال في مرحلة البحث والتنظير له، ولهذا فإننا نجد الحديث عن وظيفة الكناية غائبا غير مشار إليه في الغالب، اللهم إلا بعض الإشارات إلى أن الكناية يأتي فيها اللفظ معوضا عمّا يستقبح ذكره.

ومن جانب آخر فإن هذا العرض للصورة الكنائية نستشف منه أن الدارسين العرب قد كشفوا لنا عن السياق المعرفي الذي تكون فيه الكناية، وأن هذه الصورة البلاغية في الدراسة البلاغية تحفها مجموعة من الصور البيانية التي قد تتقاطع معها في التشكل العام لكن قد تفارقها من ناحية أو من بعض نواحيها، ولهذا وجدناهم ربطوها **بالمفهوم العام**: وهو الإشارة والرمز والتلويح والتجاوز واللغز واللحن ... وهو الإطار المفهومي العام الذي يندرج ضمنه الكناية، كما ربطوها بما يساويها معنى وإن خالفها في شرط من الشروط، وذلك عندما ساووها بـ: التعريض والإرداف والتتبيع، وكذا ميزوا مفهومها عندما ذكروها مع ما يضادها ويخالفها وهو التصريح. فعندئذ تكون هذه المرحلة إنما هي بحث في المجال المفهومي الذي تدخل تحته الكناية بأبعاده العامة أو المماثلة أو المناقضة، وهذه المرحلة هي التي هيأت ظهور المرحلة الثالثة، وهي بروز وتبلور المفهوم الاصطلاحي.

ج- ج- تبلور مفهوم الاصطلاحي للكناية: وينص الدارسون على أن المفهوم الاصطلاحي للكناية قد أخذ طريقه نحو الاستقرار مع عبد القاهر الجرجاني (471هـ)، وقد تناوله عبد القاهر في كتاب دلائل الإعجاز في ثلاث محطات أو بالأحرى في ثلاث جمل كل واحدة منها تسلم للأخرى، ليصل من ذلك إلى بيان طبيعة الكناية وعلاقتها بمراجعها التي تقاس عليها، وكذا قيمتها ومنزلتها مع المرجع والمقصد المراد:

([1]) ينظر: محمود شاكر القطان، **الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية، (من ص:53 إلى ص:102)** (ص . عدة قادة، **تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير)**، إشراف: حبار مختار، كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة وهران) السنة الجامعية: 2008-2009 (من ص:40 إلى ص:50).

- **الجملة الأولى**: في قوله: "والمراد بالكناية ههنا أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ ورِدْفُه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلاً عليه، مثال ذلك قولُهم: "هو طَويلُ النَّجاد"، يريدونَ طويلَ القامة "وكثيرُ رمادِ القِدْر" يَعْنون كثيرَ القِرى وفي المرأة: "نَؤومُ الضُّحى"، والمرادُ أنها مُتْرفةٌ مخَدْومة، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها، فقد أرادوا في هذا كُله، كما تَرى، معنًى، ثمَّ لم يَذْكُروه بلفظِه الخاصِّ به، ولكنَّهُم تَوصَّلوا إليه بِذِكْر معنًى آخر مِنْ شأنِه أن يَرْدُفَه في الوجود، وأنْ يكونَ إذا كانَ. أَفلا تَرى أنَّ القامةَ إذا طالتْ طالَ النجادُ؟ وإذا كثُرَ القِرى كثُرَ رَمادُ القِدْر؟ وإذا كانتِ المرأةُ مُتْرفةً لها مَنْ يَكفيها أَمْرَها، رَدِف ذلك أَنْ تنامَ إلى الضُّحى"[1].

وهذا النص يعد قاعدة الأولى الموضحة لمفهوم الكناية، وهي قائمة على تجاوز المعنى الظاهر إلى معنى ثان هو : تال للأول أو ردفه، فيجعل إشارة على الأول وعلامة دالة عليه، على هذا النحو:

وبهذا يكون عبد القاهر قد حدد لنا العناصر التداولية الداخلة في تأسيس مفهوم الكناية؛ وهي بذلك قائمة على:

- قصد المتكلم الذي يدفعه إلى نوع من الاختيار.
- المعنى الرديف أو المعنى التالي
- اللفظ الصريح.

وللإشارة فإن عبد القاهر في هذا التأسيس الأولي لبيان الأركان الداخلة في تكوين مفهوم الكناية، لم يبين على جهة التفصيل الآلية التي تعمل بها هذه الأركان، أو العلاقة التي تكون بين هذه الأركان. وإنما اكتفى هنا بالتمثيل والاستشهاد على ذلك: (طويل النجاد، كثير رماد القدر، نؤوم الضحى).

- **الجملة الثانية**: وهي قوله:"قد أَجمعَ الجميعُ على أن "الكنايةَ" أَبْلَغُ منَ الإفصاحِ، والتعريضَ أَوْقَعُ من التَّصريح، وأنَّ للاستعارةِ مزيةً وفَضلاً، وأنَّ المجازَ أَبداً أبلَغُ منَ الحقيقة"[2].

هذه الجملة الثانية أو القضية الثانية من القضايا التي بها أوضح عبد القاهر منزلة المعنى الكنائي من المعنى الصريح، وأنه أرفع منه وأقوى في التبليغ وأوقع في السمع. لكن هذا التقديم والتفضيل يطرح إشكالا حقيقيا يوجب علينا تفسير أسباب هذا التقديم والتفضيل. وهو ما صرح

([1]) عبد القاهر الجرجاني(المتوفى: 471هـ)، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ – 1992م (ص66).

([2]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص70).

به عبد القاهر بعد هذا النص مباشرة عند قوله: "إلا أَنَّ ذلك، وإِن كان معلومًا على الجُملة، فإنّه لا تَطمئنُّ نفْسُ العاقلِ في كُلّ ما يُطْلَبُ العلمُ بِه حتى يَبْلُغَ فيه غايتَه، وحتى يُغْلِغِلَ الفكْرَ إلى زواياهُ، وحتى لا يَبْقى عليه مَوضعُ شبهةٍ ومكان مسألة"[1]. ولهذا جاءت الجملة الثالثة:

- **الجملة الثالثة**: "اعْلَمْ أنَّ سبيلك أَولاً أَنْ تَعْلَم أنْ ليستِ المزيةُ التي تُثْبتها لهذه الأجناس عَلَى الكلام المتروكِ على ظاهرِه، والمبالغةُ التي تدَّعى لها في أنفسِ المعاني التي يَقْصِدُ المتكلمُ إليها بخَبَره، ولكنها في طريق إثباتهِ لها وتقريرِه إياها. تفسيرُ هذا: أنْ ليس المعنى إذا قلنا: "إن الكنايَة أبْلغُ منَ التَّصريح"، أَنك لَمَّا كنَّيْتَ عن المعنى زدْتَ في ذاته، بل المعنى أَنك زِدْتَ في إثباتهِ، فجَعلْتَه أبلغَ وآكَدَ وأَشَدَّ. فليستِ المزيةُ في قولهم: "جَمُّ الرماد"، أنّهُ دلَّ على قِرًى أكثرَ، بل المعنى إنك أَثبتَ له القِرى الكثيرَ من وجهٍ هو أَبلغُ، وأوجَبْتَه إيجاباً هو أَشدُّ، وادَّعيْتَه دَعْوى أنتَ بها أَنْطَقُ، وبِصِحَّتها أَوْثَقُ"[2].

وفي هذه الجملة الثالثة أوضح عبد القاهر العلائق الكامنة بين العناصر المؤلفة للصورة الكنائية: وتتمثل هذه العلاقة في طريقة إثبات المعنى، ففي المعنى الصريح تكون قد أثبت المعنى أما في المعنى الكنائي تكون قد: أكدت وشددت وبالغت في إثبات المعنى على النحو الآتي:

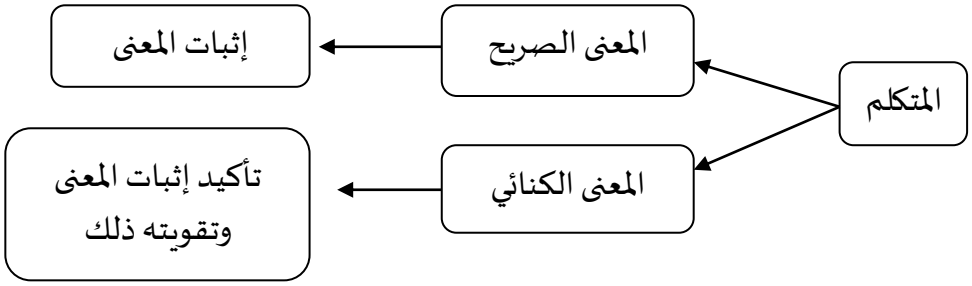

من هنا ذهب عبد القاهر إلى أن الكناية لا تزيد في المعنى كثرة بعد قلة، وإنما تقوي إثبات ما يريده المتكلم، فالمزية فيها –إذن- في "أنك أَثبتَ له المعنى الصريح من وجهٍ هو أَبلغُ، وأوجَبْتَه إيجاباً هو أَشدُّ، وادَّعيْتَه دَعْوى أنتَ بها أَنْطَقُ، وبِصِحَّتها أَوْثَقُ"[3]، كما قال عبد القاهر.

بهذا المعنى تتجلى لنا صورة الإقناع في الأسلوب الكنائي، وأنه لا تعلق له بأصل المعنى وإنما تعلقه بالطريقة التي يورد بها المعنى من حيث القوة والضعف، وقد أكد عبد القاهر هذا في النصف الثاني من كتاب دلائل الإعجاز في الفصول التي قال عنها بأنها فصول فيها مزيد شحذ للبصير، قال: " إذا نظرْتَ إِليها [إلى الكناية] وجدْتَ حقيقتهَا ومحْصولَ أمرِها أَنها إثباتٌ لِمعنىً، **أنتَ تَعْرِفُ ذلك المعنى مِنْ طريقِ المعقولِ دونَ طَريق اللفظ**. ألاَ ترى أَنكَ لَمَّا نظرْتَ إلى قولهم: "هو كثيرُ رَمادِ القِدْر"، وعرفْتَ منه أَنَّهم أرادوا أَنه كثيرُ القِرى والضِّيافة، لم تعرِفْ ذلك مِنَ اللفظِ، ولكنَّك عرفْتَه بأن رجَعْتَ إِلى نَفْسك فقلتَ: إِنه كلامٌ قد جاء عنهم في المدح، ولا معنى للمدح بكثرة الرمادِ، فليس إِلا أَنَّهم أرادوا أن يَدلُّوا بكَثْرة الرماد على أَنه تُنْصَبُ له القدورُ الكثيرةُ، ويُطْبخ فيها للقِرى والضيافةِ،

([1]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص70).

([2]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص71).

([3]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص71).

وذلك لأَنه إذا كَثُرَ الطبخُ في القدورِ كثُرَ إحراقُ الحطَبِ تَحتَها، وإذا كثُرَ إحراقُ الحطَبِ كَثُرَ الرمادُ لا محالة. وهكذا السبيلُ في كلِّ ما كانَ "كنايةً".

فليسَ مِنْ لَفْظِ الشعر عرفتَ أنَّ ابنَ هَرْمة أرادَ بقوله: ..... ## ولا أبتاعُ إلاَّ قريبةَ الأجَلِ.

التمدُّحَ بأنه مضيافٌ، ولكنك عرفْتَه بالنَّظرِ اللطيفِ، وبأنْ علِمْتَ أنه لا معنى للتمدُّح بِظاهرِ ما يَدُلُّ عليه اللفظُ من قُرْبِ أجَلِ ما يَشْتريهِ، فطلبْتَ له تأويلاً، فعلمْتَ أَنه أرادَ أنه يَشْتري ما يَشْتريهِ للأَضياف، فإذا اشترى شاةً أو بعيراً، كان قد اشترى ما قد دَنا أجلهُ، لأنه يُذْبحُ ويُنْحرُ عن قَريبٍ"[1].

وبهذا تظهر لنا الطبيعة الحجاجية في الكناية جلية لا خفاء فيها، بل الأسلوب الكنائي إنما جيء به أساسا لهذا المعنى الإقناعي الذي عبر عنه عبد القاهر بأنه تأكيد إثبات المعنى ولا دخل له في ذات المعنى. فإذا كان الأمر على هذه الشاكلة فدعونا الآن نتوسع في بحث الطبيعة الحجاجية في الكناية.

3- **طبيعة الحجاج في الكناية**: لا نريد هنا نضيع الوقت في تحديدات نظرية لمفهوم الحجاج وأقسامه وآلياته المختلفة وطبائع الحجج المستعملة، وإنما ننتقل مباشرة إلى ربط ذلك بالأسلوب الكنائي في البلاغة العربية، لنتبين طبيعة المكون الحجاجي في الكناية.

معلوم أن الحجاج له ثلاث وسائط كبرى يتم عبر واحدة منها أو عبرها جميعا، وهي[2]:

- اللوغوس: ويعني الكلام والحجج والأدلة، ويظهر ذلك جليا في نسق الرسالة التواصلية.
- الايتوس: وهو ما ينبغي أن يتحلى به الخطيب من قيم وأخلاق ...
- الباتوس: وهو ما يتعلق بالمخاطب من أهواء وانفعالات .

وأسلوب الكنائي إنما هو كلام حجاجي، يبتغي من وراءه المتكلم إثبات مقصود على الوجه الذي يراه مناسبا، فهو من قبيل الحجاج اللوغوسي.

ولكن يبقى السؤال مطروحا: ما نوع الحجة المستعملة في الكناية؟! إن الحجة المستعملة في الكناية إنما هي استدلال يحاول "أن يجمع بين الإقناع العقلي والإقناع العاطفي، فهو لا يقصد به الصور الاستدلالية الصارمة التي نجدها في القياسات البرهانية المنطقية"[3]، بل عملية خطابية يتم فيها استغلال الترابطات الواقعية أو المنطقية أو العرفية استغلالا لسانيا لتحقيق نوعا من الاستدلال الذي يجمع بينها في وضعية خطابية تحقق إضافة إلى ذلك الإقناع الإمتاعي.

وعليه الحجاج في الكناية العربية حجاج مزدوج، يشمل خطاب العقل والروح (الشعور)، يتوجه فيه المتكلم إلى محاولة الإحاطة بمنافذ الاستقبال عند المخاطَب وهي العقل والشعور، وهي أقصى درجات الإلمام بشروط القبول حين تخاطب السامع بكل أجهزة القبول عنده، موظفا في ذلك ما

([1]) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز (ص431).

([2]) جميل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، الناشر: إفريقيا الشرق، المغرب، ط:2014 (صص 68، 67).

([3]) كمال الزماني، **الحجاج في البلاغة العربية في ضوء نظرية الاستدلال (مقال)**، مجلة الآداب واللغات، جامعة محمد البسير الإبراهيمي، جامعة برج بوعريريج، العدد 10، ديسمبر 2019 (ص10) ، الرابط: https://www.asjp.cerist.dz/en/article/103015 .

تعلق بظروفه وأعرافه أي ما يتعلق بالجانب الباتوسي. وهو المكون الحجاجي الثاني في الكناية مع المكون الأول وهو المكون اللوغوسي.

4- **صور الحجاج في الكناية**: تعددت صور الحجاج في الكناية العربية بتعدد صور الكناية، فيمكن القول عنها أنها استوعبت أنواعا كثيرة من الآليات الحجاجية، من ذلك:

أ -**توظيف مراتب السلالم الحجاجية**: ويظهر هذا الأمر عند الانتقال بين الوسائط التي تكون بين المعنى الصريح والمعنى المقصود، فلو أخذنا على سبيل المثال: كثير رماد القدر في دلالته على الكريم، فإن السامع ينتقل في استدلاله ذلك على وفق السلم الآتي:

كثرة رماد القدر ← كثرة إحراق الحطب ← كثرة الطبخ والطهي ← كثرة الضيوف ← فهو مقصود من الناس لا ينفرون منه (يقبلون عليه) ← يفرح بالضيوف فهو كريم.

ب- **توظيف مختلف الحجج**: سواء منها ما تعلق الأمر[1]:

- بالحجج شبه المنطقية: (كحجة عدم الاتفاق ، وحجة التماثل والحد وحجة التبادل وحجة التعدية وحجة التقسيم)
- الحجج المؤسسة على الواقع: (كحجة التتابع أو حجة السلطة أو حجة الغائية)
- الحجج المؤسسة لبنية الواقع: (كحجة التوهيم وحجة التمثيل)
- الحجج المتفق عليها: وهي تتمثل في القيم والأعراف المتفق عليها.

كل هذه الحجج نجدها مبثوثة في الصور الكنائية المختلفة، ومن أمثلة ذلك:

- قولُ زيادٍ الأعجمِ: إنَّ السَّماحَةَ والمُروءةُ والنَّدَى ... في قُبَّةٍ ضُرِبَتْ على ابْنِ الحَشْرِجِ.

فالكناية هنا قائمة على حجة التعدية، "فتركَ أنْ يُصرِّحَ فيقولَ: "إنَّ السماحةَ والمروءةَ والندى لمجموعةٌ في ابنِ الحَشْرج، أو مقصورةٌ عليه، أو مختصَّة به"، وما شاكَلَ ذلك مما هو صريحٌ في إثباتِ الأوصافِ للمذكورين بها، وعدَلَ إلى ما تَرى مَن الكناية والتَّلويح، فجعل كونَها في القُبَّة المضروبةِ عليه، عبارةً عن كونها فيه"[2].

- قول الشاعر: وما يَكُ فيّ مِنْ عيبٍ فإنّي ... جبانُ الكلبِ مهزولُ الفَصيل

فالكناية هنا قائمة على حجة عدم الاتفاق في الادعاء، فقد ذهب المتكلم إلى افتراض دليل خاطئ ليسلم له المخاطب بما أراده من مدح وافتخار، فادعى أمورا لا يمكن أن تكون عيبا، ولم يجر الاتفاق على عيبها أنها عيبا، وهي من الأمور التي يستعظمها العربي ويكبر صاحبها. وهذا غاية في تثبيت الصفة والإفصاح عنها.

.....وغيرها من الأمثلة.

5- **خاتمة**: (أهم النتائج المتوصل إليها)

([1]) عدنان داود عبد المحسن، **الحجاج البلاغي مفهومه وتطبيقاته (مقال)**، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 134، أيلول 2020 (ص141 وما بعدها).

([2]) دلائل الإعجاز (ص307).

1- إن مما يتوصل إليه من دراسة الصورة الكنائية في هذا البحث أن أبرز بأن البلاغة العربية، قد حوت إلى جانب الإمتاعِ: الإقناعَ ، وإلى جانب التصويرِ والتشكيلِ الخطابي: الجانبَ الحجاجيّ والإقناعي، بما يؤكد عدم نفي الجانب الحجاجي للجانب الإمتاعي، والجانب العقلي للجانب الجمالي. ولا غرابة في هذا لأن التواصل ذو طابع أدائي تداولي سياقي تجتمع فيه كل هذه الآليات. والبلاغة العربية إنما هي مقاربة سياقية تداولية للكلام فهي مرتبطة بكل آلياته المستعملة فيه. فعلا: البلاغة العربية كانت قديما -كما أوضحنا- ملكة العلوم اللغوية والشرعية، وهي اليوم بنفس المكانة لانفتاحها على مجموع العلوم والمعارف، وهذا كله راجع إلى أن التقنيات التي تستعملها البلاغة العربية لها الأهلية الكافية لأن تنفتح على كل هذه الاتجاهات والفهوم.

2- إن قراءة مفهوم الكناية في البلاغة العربية في ضوء نظرية الحجاج، أثبت في جزئية من جزئياته أن البلاغة العربية مؤهلة لأن تقرأ قراءات جديدة في ضوء ما استحدث في العصر الحديث من معارف ونظريات وهذا ينبئ عن قابلية البلاغة العربية للانفتاح، وأن ما أنتجه القدماء إنما هو رؤية كانت تتعلق بالظروف التي أحاطت بهم (هي البحث في إعجاز القرآن الكريم) على أن تبقى ظواهر هذا العلم (الظاهرة البلاغية) قابلا لأن يقرأ قراءة أخرى في شروط وظروف معرفية أخرى (تواصلية أو إقناعية أو ...).

3- اتجاهات البحث في الصورة الكنائية في التراث البلاغي العربي قائمة على ثلاثة نواح:

أ- التركيز على المعنى اللغوي العام للصورة.

ب- البحث في ماهية الصورة الكنائية وشروط تحديد بنيتها.

ج- البحث في وظيفة الصورة الكنائية في ضوء مفهوم الإعجاز. ولهذا لم تعن بالجانب الحجاجي، على الرغم من وفرته في الخطاب العربي، إلا بما يخدم العناية بالجانب الجمالي.

أما اتجاهات البحث البلاغي الجديد في الكناية فتقوم على النظر إلى الغاية التواصلية، ولهذا فقد اتهمت بالجوانب المساهمة في عملية الإبلاغ، ومنها الجانب الإقناعي والحجاجي، ولم تول أي عناية للجانب الجمالي فيها. وهذا قصور واضح. وعليه يمكن القول إن الاتجاهات البحثية إنما هي محكومة بحسب الأغراض والمقاصد، وهذا ما يعطينا التفسير الأنثروبيولوجي للتحول المعرفي الحاصل في الاتجاهات المعرفية من الاتجاه الجمالي إلى الاتجاه الحجاجي، وهو تحول الانسان من السعي نحو الرفاهية بعد أن حصلها وذاق كل أصناف لذاتها، قد كان قبل ذلك يظن أنها هي المبتغى المراد ... إلى البحث عما يملأ فراغه ويقنعه بما يعيشه، أو على الأقل أن يجد شيئا يملأ فراغه الروحي الذي يعانيه.

المصادروالمراجع:

1- جميل حمداوي، **من الحجاج إلى البلاغة الجديدة**، الناشر: إفريقيا الشرق، المغرب، ط:2014م

2- الجوهري، **تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، ط4، 1987م

3- الخليل بن أحمد الفراهيدي، **معجم العين**، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، الناشر: دار ومكتبة الهلال، دط، دت.

4- الرازي (المتوفى: 666هـ)، **مختار الصحاح**، تح: يوسف الشيخ محمد الناشر: المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا الطبعة: الخامسة، 1420هـ / 1999م.

5- عبد القاهر الجرجاني(المتوفى: 471هـ)، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود محمد شاكر أبو فهر، الناشر: مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة 1413هـ - 1992م

6- عدة قادة، **تطور مفهوم الكناية في التراث البلاغي العربي دراسة تاريخية تحليلية فنية (رسالة ماجستير)**، إشراف: حبار مختار، كلية الآداب واللغات والفنون (جامعة وهران) السنة الجامعية: 2008-2009م.

7- عدنان داود عبد المحسن، **الحجاج البلاغي مفهومه وتطبيقاته (مقال)**، مجلة الآداب، جامعة بغداد، العدد 134، أيلول 2020

8- ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: 1399هـ - 1979م،

9- كمال الزماني، **الحجاج في البلاغة العربية في ضوء نظرية الاستدلال (مقال)**، مجلة الآداب واللغات، جامعة محمد البسير الإبراهيمي، جامعة برج بوعريريج، العدد 10، ديسمبر 2019م

10- محمد جابر فياض، **الكناية ويليه نظم النثر أثر الحديث النبوي فيه**، دار المنارة- جدة، السعودية، ط1، 1989م

11- محمود شاكر القطان، **الكناية مفهومها وقيمتها البلاغية**، دار الكتب-مصر، 1993م.

12- ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة - 1414هـ